فالذي يطلق عليه اسم «جنس» مُعتبر كعنصر ضروري ومستقل للرواية. والمشاهد الجنسية تتشابك مع تحليل نفسي مظلم، وفي أحسن الحالات يظهر صراع مزدوج لا انتهاء له، بين الأصول التاريخية، والأصول النفسية، إنّه صراعٌ مزدوج يدمر وحدة الرواية»[102].

ويتجلى عنف الانتقاد في قولهما:

(ان الفرودية هي **أسطورة عقل مريض** عاجز اجتماعياً، وقد اتخذ مظاهر علمية، فالفرودية تعرض الحياة النفسية بقوة تعبير كبير، على نحو يعتمد أكثر ما يعتمد على الصور، ويتخذ **طابعاً علمياً مزيفاً**، بالطريقة نفسها التي كانت فيها الميثيولوجيا القديمة تعرض للفنانين مشاهِد من الطبيعة والمجتمع، مُصحَّحة وفقاً للأهواء)[103].

ولا نريد أن نتبنى في تحليلنا هذه الآراء المتطرفة، ولكننا نلاحظ فقط أن الناقد د. الهواري استخدم علم النفس، والتحليل النفسي إلى جانب التحليل الاجتماعي المادي للأدب دون أن يتساءل ـ لا في المقدمة ولا أثناء التحليل ـ عن إمكانات الملاءمة بين المنهجين، **أي دون أن يقدم مسوغات إدماج التحليل النفسي ضمن التحليل الماركسي للرواية**.

الرؤية التاريخية المثالية:

كلما تعدَّدت الرؤى وتباينت في العمل النقدي فقدت العملية النقدية قيمتها، ونحن نتحدث هنا **عن تعددية الرؤى التي لم يتم إخضاعها لوحدة في التصور**. أما إذا كان الناقد واعياً بهذا التعدد فإنه سيحاول جهده أن يقدم وسائل اقناع كافية لتبرير هذه التعددية. فالمقدمة تُعلِنُ عن منهج محدد، والتحليل تتسرب إليه المناهج المختلفة دون رقابة الناقد. ونقصد هنا الرقابة المنهجية التي ترقى إلى مستوى التنظير. والوعي التام بجميع خطوات الممارسة. ولقد رأينا كيف أن الناقد دخل عالم التحليل النفسي لمجرد أن رواية من المتن فرضت عليه بموضوعها، هذا التحليل. أما هنا فنجد الناقد يخرج عن نطاق تفسير الأدب بالظروف الاقتصادية والاجتماعية إلى اتخاذ نظرة مثالية تُناقض ذلك التصور وتلغيه. ويبدو أن هذه النظرة تنفلت من رقابة الناقد الواعية مما يؤكد أنها تحتفظ بدورها في بنيته الذهنية ولذلك فهي تمارس تأثيرها في غفلة عن الناقد نفسه، إلى حد أن سؤالاً ملحاً يبدو مشروعاً بهذا الصدد: إلى أي حدٍ كان الناقد شديد الاقتناع بالمنهج الذي اختاره لدراسة البطل في الرواية المصرية؟.

---

(102) ج. طومسون، ف. دنيروف: **دراسات ماركسية في الشعر والرواية**. ترجمة د. ميشال سليمان. دار القلم، بيروت. ط 1، 1974، ص 154.

(103) المرجع السابق، ص 150 - 151.